حديث افتراق الأمة (الدراسة)

نثار احمد*

عبدالرؤف ظفر**

فإن من سائر الأديان عند الله ألدّين الإسلام وهو الدين الذى قد رضيه الله لعباده كما هو يقول: ورضيت لكم الإسلام دِينا (المائده،3) و فى مقام أخر "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ "(آل عمران، 19)

فالمقتضى هو التمسک بدينه والحذر من التفرق والشعوب عن الحق ويريد السلامة والوحدة والمحبة والإخوة بين جميع الناس عامة والمسلمين خاصة. ولذا يقول: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروانعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفاحفرة من النّار فأنقذكم منها كذلک يبين الله لكم أياته لعلّكم تهتدون (آل عمران، 102)

والآية مبيّنة واضحة لعدم التفرق، والإختلاف وتدرس الوحدة والاتفاق والألفة بين الناس. والمعنى "ولا تفرقوا "هو كما يقول ابن مسعودرضى الله عنه و غيره:" متابعين للهوىٰ والأغراض المختلفة، وكونوا فى دين الله إخواناً، فيكون ذلک منعاً لهم عن التقاطع والتدابر(1)"

وبالجملةآيةدلّت على تحذيرالإفتراق ونشأةالسلامةوالألفة كما فسرالقرطبى: "فأوجب تعالىٰ علينا التمسک بكتابه وسنة نبيّه، والرجوع إليهما عند الإختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الإعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، و ذلک سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات، الذى يتم به مصالح الدنيا والدّين، والسلامة من الإختلاف، وأمر بالإجتماع و نهى عن الإفتراق الذّى حصل لِأهل الكتابين"(2)

فالإختلاف باب وسيع جداً لَا بُد أن نشرح معناها أو مفهومها قبل بيان أنواعها وأقسامها والفرق بين الإختلافِ وافتراق و غير ذلک من أهم مسائلها۔

تعريف الاختلاف وانواعه:

الإختلاف هي من الخلاف، يقول ابن منظور: والخلاف: المضادة وقد خالفه مخالفة و خلافاً۔ و فى المثل: إنما أنت خلاف الضبع الراكب أى تخالف خلاف الضبع لِأن الضبع إذا رأت الراكب هَرَبت منه۔(3)

و قال الراغب الأصفهانى:"أن يأخذ كُلّ واحد طريقاً غير طريق الآخر فى حاله أو قوله، والخلاف أعمّ من الضد، لِأن كُلّ الضدين مختلفان،وليس كلّ مختلفين ضدين،ولمّاكان الإختلاف بين الناس فى القول قد يقتضى التنازع استعير ذلک للمنازعة والمجادلة۔(4)

وفى ألفاظ أخرى نقول: إن الخلاف قد صدقت على تباين الأفكار والآراء و غير ذلک من المواقف والأمور۔ والعلاقة بين الخلاف والتفرق، هو أعم من التفرق، يقول ابن منظور: والفرقة: مصدر الافتراق۔ قال الأزهرى: الفرقة اسم يوضع المصدر الحقيقى من الإفتراق و فى حديث ابن

---

* أستاذ مساعد، بقسم الدراسات الدينية، جامعة فورمان المسيحية كلية، لاهور، باكستان

** استاذ،رئيس قسم الدراسات الاسلامية، جامعه سرحودها،لاهور كيمپس،باكستان

مسعود: صليّت مع النبى صلى الله عليه وسلم، بمعنى ركعتين و مع ابى بكر و عمر ثم تفّرقت بكم الطرق، اى ذهب كل منكم إلى مذهب و قال إلى قول وتركتم السنة"۔ و فارق الشئ مفارقة وفراقا: باينه والإسم الفرقة۔(5)

فالمأخود من التعريف الإفتراق أوالفرقة هو الانقطاع والمباينة والمفارقة من الجماعة۔ ولقد ذمّ الله تعالٰى فى"الفرقان" المفارقة والتفريق بين المسلمين ونهى عنه، فالأيات فى هذا الموضوع كثيرة التى تنطق على كراهية المتفرّق و إحذارها، لِأن التفرق والتنازع والتفاخر من الإسباب التى هلك الأمم السابقة۔

فقال: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا (6)

وقال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ (7)

وقال: وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ (8)

وقال: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ (9)

وقال: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (10)

وقال: وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا-(11)

والرسول صلى الله عليه وسلم منع أمته من التفرق والتنازع و مثل ذلک من الأمورالفاسدة الدّاعيه إلى التفرق والنزاع۔ ورغب أمته إلى الوحدة والجماعة: وعن ابى هريرة رضى الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ " [12] والاحاديث النبىّ كثيرة فى هذا لمعنى، وأمّا حديث افتراق الأمّة ففيه التفصيل والتوضيح سنبيّنها إنشاء الله بعد بيان أنواع الإختلاف والإفتراق۔

ومن الحقائق الثابتة أن إختلاف الأراء والتفكير يوجد بين الناس منذ نشأة الإنسان أخذ ينظر نظرات فلسفية إلى الوجود أو الكون ولذا نحن نقول أن النظرات تثير على الناس باختلاف ما تقع عليهم أنظارهم ولّما رجمع الإنسان خطوات فى مذهب المدنية والحضارات واتسعت فرجات الخلاف، فقدينقل الشاطبى قول المفسرين فى تفسير أية "ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربک ولذلک خلقهم "منهم عطاءٌ قال: قال اليهود والنصارىٰ والمجوس والحنيفية وهم الذين رحم ربک الحنيفية خرّجه ابن وهب وهو الذّى يظهر لبادى الرأى فى الآية المذكورة۔

وأصل هذا الإختلاف هو فى التوحيد والتوجه للواحد الحق سبحانه، فمن الناس فى عامة الأمرلم يختلفوا فى أنّ لهم مدبراً يدبرهم وخالقاً أو جدهم إلّا أنهم اختلفوا فى تعينيه على آراء مختلفة من قائل بالإثنين وبالخمسة، و بالطبيعة أو بالدهر أو بالكواكب، إلى أن قالوا بالآدميين وبالشجر وبالحجارة وما ينحتون بأيديهم۔(13)

فالإختلاف فی آراء الناس وافکارهم أمر ضروري لیس فیه إفتراق، ولا حرج فیه إذا کان لتیسیر امور الأمة لأن الإختلاف یفتح أبواب الإجتهاد ولذا وسع الله تعالٰی علی أمة محمد صلی الله علیه وسلم بوجود الخلاف الفروعی فیهم.

ولِأن النظریات لا یمکن فیهم الإتفاق عادة بخلاف الظنیات لِأن إمکان الاختلاف محال لکن فی الفروع دون الأصول وأیضاً فی الجزئیات دون الکلیات، فمثل هذه الإختلاف بین الناس نظّن لیس فیه حرج لأنهم لم یبدّل احکام الأصول أو الکلیات.

ولو نرید أن نحصی أسباب الإختلاف بین الناس أو نعدّوا فی عدد محدود فلم یمکن إحصاؤها، فهی فی الحقیقة کثیرة و باب وسیع الذّی إغلاقها محال لِأن الناس مختلفون فی طباعهم و عاداتهم و اعمالهم وأخلاقهم و صنائهم، و ذووفنون شتی لا یحصی عددهم إلّا الله.

فهنا نذکر اسباب الإختلاف بین الناس بالإختصار وهي علی قسمین،القسم الأول: أسباب عامة یشترک فی هذا القسم جمیع الناس و القسم الثانی هي أسباب خاصة باختلاف المسلمین فنذکرها ما بین الشیعة والسنة ثم نبین فوائد الإکتلاف قبل بیان اختلاف خاصّة بین المسلمین. فنبدوا من أهم أسبابها وهي: الرغبة والشهوة.

1. اختلاف الناس فی الرغبة والشهوات:

إن أکثر الناس مطبوعین علی الشهوات والرغبة فی الدنیا و غا فلون عن أمور الآخرة ونری کثیر من الناس یترکون شهوات الدنیا والراغبون فی أمر الآخرة وهم الذّین یطلبون ویسئلون الرحمة ویریدون أن یتقربوا إلی الله باالطاعة و العبادة،فهما یختلفا بحسب أفکارهما و آرائهما فهی من أهم فیهما اسباب الأختلاف قد وقعت بین النّاس.

2. اختلاف الناس بحسب القیاس والمیزان:

ومن اسباب الإختلاف هي تفاوة المستعملین للقیاس والموازین وقد یؤدی إلی الإختلاف بین العلماء لتفاوة آرائهم وأفکارهم کما ینقل اخوان الصفا ،حیث یقول: " إعلم أنّه قد یقع الخلاف و المنازعة بین المستعملین للقیاس والموازین أیضاً من جهات أربع: إمّا بقصد من المستعملین لها دغلاً و غشا لِأغراض لهم و إمّا لبسهو منهم و إمّا بجهلهم بکیفیة استعمال المیزان، وامّا أن یّکون القیاس والمیزان معوّجاً غیر مستو، فمن أجل هذه الوجوه یقع الخلاف والمنازعة بین أملها، فهذه أیضاً أحد أسباب الخلاف بین العلماء فی آرائهم و مذاهبهم"(14)

فالمراد بالموازین، هم الرجال العدول اوا لحکام الذین یحکمون بین الناس عند الإختلاف کما فی اخوان الصفاء: "وهذه الموازین حکام و عدول نصبّها الباری تعالٰی بین خلقه لیتحاکموا إلیها فی طلب العدل والإنصاف والحقائق والاستواءِ ویجتنبوا الزور والخطاء والظلم والجور، ویرفعوا بها الخلاف والمنازعة من بینهم بحرز الظنون وتخمین الرأي"[15] ثم وأما الوجومات التی قد تقع بین المستعملین للقیاس والموازین ویؤدی إلی الإفتراق والنزاع فهی 1. إما بقصد من المستعملین لها دغلاً

و غيشا لأغراض لهم 2- وإمّا بسهومنهم 3- وامّا بجهلهم بكيفية استعمال الميزان4- وإمّا أن يكون القياس والميزان معوجاً غير مستوٍ فمن أجل هذه الوجوه يقع الخلاف والمنازعة بين أهلها"(16)

3- غموض الموضوع فى ذاته /المشتبهات:

ومن أسباب الأختلاف الذى بيّن الأستاذ ابو زهره هو غموض الموضوع فى ذاته و شرح بقول الأفلاطون فى تصديق هذه النكة فقال:

"لقد تصدى الفلاسفة من قديم الزمان لدراسة موضوعات غامضة فى ذاتها، والسبيل لإدراكها ليست معبدة، وطرق فهمها مختلفة، فكل يرى ما يقع عليه نظره، و يدرك ما تهديه إليه بصيرته و فكرته، و لعلّ الصواب يكون فى مجموعها، وليس فى آحادها ولقد قال افلاطون فى هذا لعام: إن الحقّ لم يصبه الناس فى كل وجوهه ولا أخطئوه فى كلّ وجوهه، بل أصاب كل إنسان جهة، و مثال ذلك عميان إنطلقوا إلى فيل، وأخذ كل منهم جارحة منه فجسّها بيده- ومثلها فى نفسه، فأخبر الّذى مس الرجل أن خلقة الفيل طويلة مستديرة شبيهة بأصل الشجرة، وأخبر الذى مسّ الظهر أن خلقته تشبه اكهضبة العالية، والرابية المرتفعة، وأخبر الذى مسّ أذنه أنّه منبسط دقيق يطويه وينشره، فكل واحد منهم قد أدى بعض ما أدرك، وكل يكذّب صاحبه و يدعى عليه الخطاء والجهل فيما يصفه من خلق الفيل، فانظر إلى الصدق كيف جمعهم، وانظر إلى الكذب والخطاء كيف دخل عليهم حتى فرفهم، وكثيراً ما يكون الإختلاف لا لغموض الموضوع فى ذاته بل يكون لأن كلّا المختلفين لم يعرف وجهة نظر ألاخر، واختلف نظرهما فى الموضوع الواحد، ولذلك كان سقراط يقول: إذ عرف موضوع النزاع، بطل كل نزاع"(17)

4- التقليد والجمود والجهل:

ومن اهم اسباب الأختلاف هي تقليد السلف أو السابقين بجهل وعدم شعور ومن غير أن ينظر المقلدون نظرة عقلية مجرّدة- والمرادنا بالتقليد الذّى يؤدى إلى الإختلاف هو التقليد لكلّ ما يتلقفه الشخص دون تمحيص و دراية، بل إذا أعجب برأي نافح عنه و دعا إليه تقليداً عن جهل- فاتباع الأئمة على علم وهدىٌ و بصيرة أمر مشكور[18] وهذا التقليد ينشأبها التعصّب وإن كان التّعصب كثير أو شديد فالأختلاف الشديد وهي يسبب النزاع والجدال-

5-(الاتجاه) اختلافات الصنائع والعلوم خصوصاً القياسيات:

ومن أسباب الإختلاف بين الناس العلوم وأنّ اكثر" العلوم" التى تحصل الأنسان إنّما هو بطريق القياس (كما ينقل فى رسائل اخوان الصفا) و القياسيات مختلفة وكثيرة:" أن علم الإنسان إنّما هو بطريق القياس، والقياسيات مختلفة الأنواع كثيرة الفنون كل زلك بحسب أصول الصنائع والعلوم وقوانينها، مثال ذلك أن قياسات الفقهاء لا تشبه قياسات الأطباء ولا قياس المنجمين يشبه قياس النحويين والا المتكلمين ولا قياسات المتفلسين تشبه قياسات الجدليين ومكذا قياسات المنطقيين فى

الرياضات لا تشبه قياسات الجدليين ولا تشبه قياساتهم فى الطبيعيات ولا فى القياسات والالهيات، ومكذا الحكم فى سائر الصنائع والعلوم"(19)

حديث افتراق الأمة(الدراسة)

إن الإسلام هو الدين الذى يدعى الامة إلى الوحدة والإتفاق و الإجتماع الناس۔ و ينهى عن التفرق والبغى والإنقسام و غير ذلک من الأمور ألتى يؤدّى إلى الإفتراق۔ فالإسلام وحدة هو السبيل والأياس الذى ينبع منه إيجاد المجتمع المتكامل لِأن تعاليمه هو الجماعة ليس الإفتراق والتفرد وهذا ابو درداء وانس رضى الله عنهما يذكرا لنا: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نحن نتناذع فى شيءٍ من الدين فغضب غضبا شديداً لم يغضب مثله قال ثم انتهرنا قال يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم و مج النار ثم قال أبهذا أمرتم أو ليس عن هذا نهيتم إنما ملک من كان قبلكم بهذا۔(20)

و أما حديث افتراق الأمة الذى وردت فى كتب الحديثية من طروق عديدة۔ فقد تكلّم فيها المحدثون و أئمة الجرح والتعديل من حيث صحّتها و ضعفها۔ سنبيّن بتبانيت اقوال العلماء فيها وما حكموا عليها۔ فالخلاف ما وقعت فى احكام الدين من زمن الصحابة والتابعين إلى الأن هي فى احكام الإجتهادية مثل فى وقت الصلاة من حيث تقدمها و تأخرها و ليس الإختلاف فى اصل النصّ والشريعة مثل اجزائ الإيمان۔ من التوحيد والرسالة والآخرة و ايمان بالملائكة و غير ذلک من اركان الإسلام مثل الصلاة من حيث عددها والصيام والحج۔ فلم يختلف الأمة فى هؤلاء الأحكام الشريعة۔ فالنص الحديث الافتراق هي:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على إحدى او اثنتين و سبعين فرقة و تفرقت النصارىٰ على إحدى على اثنتين و سبعين فرقة"[21] فقد روىٰ هذه الرواية الترمذى، ابو داؤد، و ابن ماجة۔ وغير هؤلاء ، احمد بن حنبل، والحاكم والبيهقى۔ فنذكرها أوّلا بطريق ابى هريرة رضى الله عنه:

ألاوّل: ينقل ابو داؤد فى سننه: حدثنا وهب بن بقيّة عن خالد عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابى هريرةرضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "افترقت اليهود على إحدى او ثنتين و سبعين فرقة وتفرقت النصارىٰ على إحدى أو ثنتين و سبعين فرقة و تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فِرقه"(22)

والثانى: ينقل الترمذى بقليل التغيير فى الفاظ الحديث كما"تفرقت" "والنصارىٰ مثل ذلک" حدثنا الحسين بن حريث ابو عمّار حدثنا الفضل بن موسٰى عن محمد بن عمرو عن ابي سلمه عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تفرقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة والنصارى مثل ذلک، و تفترق أمتى على ثلاث و سبعين فرقة۔(23)

والثالث: ينقل الحاكم فى مستدركه:عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة رضى الله عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: افترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة أو اثنتين و سبعين فرقة، والنصارى مثل ذلک، و تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة(24)

والرابع: والبيهقى فى سننه الكبرىٰ يقول: وقد أخبرنا ابو على الحسين بن محمد الروزبارى فى كتاب السنن أنبا ابو بكر محمد بن بكر ثنا ابو داؤد ثا وهب بن بقية عن خالد عن محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على إحدى او ثنتين و سبعين فرقة و تفترق أمتى على ثلاث و سبعين فرقة ـ(25)

فحديث ابى هريره رضى الله عنه باعتبار جميع طرقها التى جاء فيه محمد بن عمرو فقد تكلّم فيه أئمة الجرح والتعديل. يقول ابن حجر: هو محمد بن عمرو بن علقمه بن وقاص الليثى، صدوق له اوهام(26)

و نقل ابن حجر فى التهذيب: ليس هو ممن تربد-رجل صالح ليس بأحفظ الناس للحديث، ما زال الناس يتقون حديثه، ليس بقوى الحديث و يشتهي حديثه، صالح الحديث يكتب حديثه وهو شيخ، ليس به بأس، ثقة، له حديث صالح أرجو أنه لا بأس به، هو وسط و إلى الضعف ما هو،لم يكن به بأس. كثير الحديث يستضعف[27]وذكره ابن سعد فى الطبقة الخامسة من أهل المدينة و يقول، محمد بن عمرو من انفسهم، توفي بالمدينة سنة أربع و أربعين و مائة فى خلافة ابي جعفر المنصور، و كان كثير الحديث يستضعف.[28] روى عنه، سفيان ثورى و سفيان بن عيينة، شعبه بن حجاج، عبّاد بن عبّاد، عبّاد بن عوّام، الحسن بن صالح بن حيّ، يحي بن سعيد القطّان، و قال ابو بكر بن ابي خيثمة: سُئل يحي بن معين عن محمد بن عمرو، فقال ما زال النّاس يتقون حديثه، قيل له، وما علة ذلك؟ قال: كان يحدث مرّة عن ابي سلمة بالشيء من رأيه ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن ابى هريره[29] نقول من اقوال كل مؤلاء العلماء و غيرهم نرىٰ أنهم لم يضعّفوا حديث ابى هريره رضى الله عنه بطريق محمد بن عمرو، و إن كانوا كلّموا عليه ولكن ليس جرحهم من باب التشديد والتضعيف و قد نقل الامام الترمذى بعد نقل هذا الحديث فى جامعه: حديث ابي هريرة حديث حسن صحيح(30)

وأمّا حديث محمد بن عمرو بطريق عبدالرحمٰن بن زياد بن أنعم الأفريقي الألفاظ والزيادة في الحديث التى قد مرّت و كانت هي حديث ابي هريره رضى الله عنه. فقد كلّم الناس عليها لِأن فيها خِفّة و ضعفٌ ولِأن موقوف على محمد بن عبدالله بن عمرو. ينقل الامام الترمذى:"ليأتيّن على أمتى ما أتى على بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمّه علانيّة، ليكون فى أمتي من يصنع ذلك. و إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين و سبعين ملة، و ستفترق امتى على ثلاث و سبعين مِلّة. كلّها فى النّار إلّا واحدة. قالوا من هي يا رسول ؟ قال: من كان علىٰ ما أناعليه وأصحابي(31)

وقد أخرج ابو داؤد فى سننه:حدثنا احمد بن حنبل و محمد بن يحيىقالا حدثنا ابو المغيرة،حدثنا صفوان و حدثنا عمرو بن عثمان، قالا حدثنا بقيّة قال حدثنى ازهر بن عبدالله الحرازى عن ابى عامر الهوزني عن معاوية بن ابى سفيان، انه قام فينا فقال ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين و سبعين ملة و إن هذه الملة ستفترق على ثلاث و سبعين ثنتان و سبعون فى النار و واحدة فى الجنة وهي الجماعة[32]

وقد أخرج ابن ماجة فى سننه عن عوف بن مالک :حدثنا عباد بن يوسف حدثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالک قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة، فواحدة فى الجنة و سبعون فى النار، و افترقت النصارىٰ على ثنتين و سبعين فرقة فإحدىٰ و سبعون فى النار و واحدة فى الجنة والذى نفس محمدٍ بيده لتفترقن أمتى على ثلاث و سبعين فرقة واحدة فى الجنة و ثنتان و سبعون فى النار قيل يا رسول الله- من هم؟ قال: الجماعة(33)

وهذا الطبرى ينقل فى تفسيره مثل رواية عوف بن مالک عن أنس بن مالک:

يقول حدثني المثني قال حدثنا عبدالله بن صالح قال حدثنى معاوية بن صالح: أن الأوزاعي حدثه، أن يزيد الرقاشى أنّه سمع أنس بن مالک قال- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ بنى اسرائيل افترقت على إحدى و سبعين فرقة، و إن أمتى ستفترق على اثنتين و سبعين فرقة، كلهم فى النار إلّاواحدة، قال. فقيل: يا رسول الله ما هذه الواحدة؟قال فقبض يده و قال: الجماعة .(34)

الكلام على أسانيد روايه الترمذى، وابى داؤد وابن ماجة والطبرى و غير هؤلاء كلهم من خرج هذه الرواية بالمعنى أو بزيارة الفاظ مثل احمد احمد بن حنبل فى مسنده[35]وابن كثير فى تفسيره[36] و ابو يعلى الموصلى فى مسنده[37] أما رواية الترمذى، هي رواية الأولى، ، ففى سند هذه الحديث جاء عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى، فقد تكلم فيه العلماء و ضعفوه يقول ابن حجر فى التهذيب:

عبدالرحمن بن زياد بن انعم بن ذر بن يحمد بن معد يكرب بن اسلم ابن منبة بن النمادة بن حيويل الشعباني ابو ايوب و يقال ابو خالد الافريقى القاضى عداده فى اهل مصر روى عن ابيه و أبى عبدالرحمن الحبلي و عبدالرحمن بن رافع التوخى و زياد بن نعيم الحضرمي و عمران بن عبدالمعافري و ابي عثمان مسلم بن يسار الطنبذى--- و عنه الثورى، ابن لهيعة، و عبدالله بن مبارک، ابو خيثمة، ابو اسامة، رشدين بن سعد، عبدالله بن يحيى البرلسي، يعلى بن عبيد، جعفر بن عون، عبدالله بن يزيد المقرى و غيرهم-- و قال عمرو بن علي كان يحيى لا يحدث عنه و ما سمعت عبدالرحمن ذكره إلّا مرّة قال ثنا سفيان عن عبدالرحمن بن زياد الأفريقى وهو مليح الحديث ليس مثله غيره فى الضعف-(38)

و ذكر الخطيب فى تاريخه: ابو بكر المروزى عن احمد بن حنبل: منكر الحديث[39] و نقل عبدالرحمن بن ابى حاتم فى الجرح والتعديل عن أبيه يقول سألت أبي و أبا زرعة عن الافريقى و ابن

لهيعة أيها أحب إليكما؟ قالا: جميعا ضعيفين و أشبههما الافريقى.[40] نقل المزى و يقول سعيد بن عمرو البرذعي: قلت يعنى لِأبي زرعة: يروى عن يحيى القطان أنّه قال: الإفريقى ثقة ورجاله لا نعرفهم، فقال لي ابو زرعة: حديثه عن هولاء لَا ندري، و لكنه حدث عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، فيمن أتى بهيمة، وهو منكر قلت فكيف محله عندك؟ قال:يقارب يحيى بن عبيد الله و نحوه.(41)

و يقول فيه الترمذى: وَحَدِيثُ زِيَادٍ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْرِيقِيِّ. وَالْإِفْرِيقِيُّ هُوَ ضَعِيفٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ، ضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ القَطَّانُ وَغَيْرُهُ " قَالَ أَحْمَدُ: لَا أَكْتُبُ حَدِيثَ الْإِفْرِيقِيِّ. وَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يُقَوِّي أَمْرَهُ، وَيَقُولُ: هُوَ مُقَارِبُ الحَدِيثِ،وَالعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ مَنْ أَذَّنَ فَهُوَ يُقِيمُ" (42)

فقد انكشفت حالة الراوى بأقوال العلماء فيه فإن الجمهور يجمعون على ضعفه كما بيّنا، فكيف نستدل بها أنّ كل فرقة الاسلام، فى النار،سوىٰ الواحدة؟والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ.(43)

و هذامحمد بن اسماعيل الأميرالصنعاني قد شرح فى كتابه"حديث افتراق الأمة إلى نيف و سبعين فرقة"حديث الإفتراق وما جاء فى الحديث كلها هالكة إلا فرقة واحدة، فقال: ولا شكّ أنّه قد ثبتت فى كتب السنة كما سمعته، ولكنه قد نقل السيد العلامة الحافظ عزّ الدين محمد بن ابراهيم الوزير رحمه الله عن محمد بن حزم فى بعض رسائله ما لفظه: قال الحافظ ابو محمد بن حزم: إنّ الزيادة يقوله: "كلهَا هالكة إلّا فرقة" موضوعة، و إنما الحديث المعروف "إنها تفترق إلى نيّفٍ و سبعين فرقة" لا زيادة على هذا فى نفل الثقات. و من زاد على نقل الثقات فى الحديث المشهور، كان عند المحدثين معلًّا ما زاده غير صحيح، و إن كان الراوى ثقه.(44)

وأما رواية ابى داؤد وهي حديث معاوية رضى الله عنه بن ابى سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى سندها أزهر بن عبدالله بن جميع و عنه صفوان بن عمرو الحمصى. تكلم فيهما أئمة الجرح والتعديل.

يقول المزى فيه: ازهر بن عبدالله بن جميع الحرازى الحميرى الحمصي و يقال: هو ازهر بن سعيد، و روى عن تميم الدارى مرسلاً و عن شريق الهوزنى، مسلم بن سليم والنعمان بن بشير و روى عنه الخليل بن مرّة و صفوان بن عمرو و عمر بن جعثم والفرج بن فضالة.[45] و نقل ابن حجر فى التهذيب: و قد قال ابن الجارود في كتاب الضعفاء كان يسب عليا. وقال أبو داود: إني لأبغض أزهر الحرازي ثم ساق بإسناده إلى أزهر قال: كنت في الخيل الذين سبوا أنس بن مالك فأتينا به الحجاج. وذكر ابن الجوزي عن الأزدي قال: "يتكلمون فيه". قلت: لم يتكلموا إلا في مذهبه وقد وثقه العجلي وفرق ابن حبان في الثقات بين أزهر بن سعيد وأزهر بن عبد الله ثم ذكر أزهر بن عبد الله الراوي عن تميم وعنه الخليل بن مرة. وقال: إن لم يكن هو الحرازي فلا أدري من هو ثم ذكر أزهر بن

عبد الله. قال كنت في الخيل الذين سبوا أنسا وأخرج ذلك بسنده من طريق عبد الله بن سالم الأشعري عنه فجعل الواحد أربعة -والله الموفق-.(46)

و قال ابو حاتم الرازى:ازهر بن عبدالله بن جميع الحرازى روى عن تميم الدارى، مرسلاً-(47) وصفوان بن عمرو الضبي الحمصى الصغير روى عن على بن عياش و بشر بن شعيب بن أبي حمزه و عبدالوهاب بن نجدة و غيرهم من اهل حمص و عنه النسائى و قال لا بأس به-(48) و أمّا رواية ابن ماجة وهي حديث عوف بن مالک فجاء فيه راشد بن سعد فقال فيه ابن سعد: كان من اهل حمص، وكان ثقة،مات سنة ثمان و مئة فى خلافة هشام بن عبدالملک -(49)

و ذكر ابن حجر فى التهذيب فقال و قال الخلال عن احمد لا ينبغى أن يكون سمع منه و قال ابو زرعة راشد بن سعد بن سعد بن ابى وقاص مرسل، قلت و فى روايته عن أبي الدرداء نظر و ذكر الحاكم أن الدارقطنى ضعّفه و كذا ضعّفه بن حزم و قد ذكر البخارى أنّه شهد صفين مع معاوية-(50)

و عوف بن مالک، قال المزى فيه صاحب رسول الله شهد فتح مكة مع رسول الله- و يقال: كانت معه راية أشجع يومئذٍ ثم نزل الشام و سكن دمشق، و كانت داره بها عند سوق الغزل العتيق- روى عن النبى صلى الله عليه وسلم- و روى عنه- جبير بن نفير، حبيب بن عبيد، راشد بن سعد و غير ذلک(51)

و أمّا رواية الطبرى وهي حديث انس بن مالک جاء فى سنده يزيد بن ابان الرقاشى فقد تكلم فيه علماء الجرح والتعديل ذكره ابن سعد فى الطبقات، ففى الطبقة الثالثة من أهل البصرة، و قال كان ضعيفا قدريا[52] و ذكره ابو حاتم الرازى فى الجرح والتعديل يقول: قال ابو طالب: سمعت احد بن حنبل يقول: لا يكتب حديث يزيد الرقاشى- قلت له: فلم ترک حديثه، تهوى كان فيه؟ قال: لا ولكن كان منكر الحديث[53] و يقول ابو حاتم: كان واعظا بكاء كثير الرواية عن انس بما فيه نظر، صاحب عبادة و في حديثه ضعف[54] و جمع المزى اقوال العلماء فيه فينقل:قال عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه: هو فوق ابان بن ابي عياش، و كان يضعف-و قال فى موضع آخر: و كان شعبة يشبهه بأبان- و قال معاوية بن صالح عن يحيى بن معين: ضعيف و قال ابو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: رجل صالح و ليس حديثه بشيءقال عباس الدورى عن يحيى بن معين: ميمون بن سياه و يزيد الرقاشى و زياد النميري كلهم ضعفاء-وقال ابو عبيد الآجرى: سألت أبا داؤد عن يزيد الرقاشى فقال: فقال رجل صالح:و قال يعقوب بن سفيان: فيه ضعف(55)

ويقول ابن حبّان البستى: و كان من خيار عباد الله من البكائين بالليل فى الخلوات، والقائمين بالحقائق فى السبرات، ممن غفل عن صناعة الحديث و حفظها ، واشتغل بالعبارة وأسبابها حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن انس عن النبي عليه السلام وهو لا يعلم فلما كثر فى روايته ماليس من حديث عنه إلّا على سبيل التعجب، و كان قاصا، يقص بالبصرة ويبكى الناس... لكن حديثه ليس بشيء(56)

و قال البخارى فى تاريخه الكبير: تكلم فيه شعبة[57] وإذا عرفنا الحديث من جهّة السندها ما قيل فيها من الجرح و التعديل فنقول يبدأ الإشكال فيها من جهة أخرىٰ فهو، أنهم ينقلون "اكثر الهلاك والكون فى النار" كما هي مرّت فى الأحاديث الواردة. ولكن هي منافي الاحاديث البخارى و مسلم: اللذان أخرجا أن كثيراً عن الذين يدخلون الجنة، هم أمة محمدية من سائر أمم الأنبياء.

أخرج البخارى فى باب كيف الحشر والمسلم فى باب كون هذه الأمة نصف اهل الجنة.

عن عبدالله قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحواً من اربعين رجلاً فقال: أترضون ان تكونوا ربع أهل الجنة؟فقلنا نعم.فقال: والذى نفسى بيده إنّى لِأرجو ان تكونوا نصف أهل الجنة، وذاك أن الجنة لا يدخلها إلّا نفس مسلمة وما أنتم فى اهل الشرك إلّا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود، او كالشعرة السوداء فى جلد الثورِ الاحمر (58)

و أخرى ابو داؤد فى سننه حديث "أمتّى هذه أمة مرحومة ليس عليها عذابٌ فى الآخرة"(59)

ومثل هذه الاحاديث و جدنا في كثير من كتب السنة ألتى الدالات على سعة بارى تعالىٰ. ولكن نترك بيانهن بسبب الطوالة. ثم فأحسن الكلام فيه ما يقول الصنعانى: "ولمّا كان حديث الافتراق مشكلاً كما ترىٰ. أجاب بعضهم: بأن المراد بالأمة فيه، أمّة الدعوة لا أمة الإجابة! يعنى أن الأمة التى دعاما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته، هي المفترقة إلى تلك الفرق. وأنّ الأمة الإجابةهي الفرقة الناجية. يريد بها من آمن بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فلا إشكال(60)

يقول ابن تيمية: "الحديث (حديث افتراق الأمة) صحيح مشهور فى السنن والمساند، كسنن ابي داؤد والترمذى والنسائى وغيرهم"(61)

يقول الحافظ العراق: حديث افتراق الأمة وفيه "الناجي منهم واحدة" قالوا: ومن هم؟ قال "اهل السنة والجماعة" الحديث رواه الترمذى من حديث عبدالله بن عمرو و حسنه تفترق أمتى على ثلاث و سبعين ملة، كلهم فى النار إلّا ملة واحدة" فقالوا: من هي يا رسول: قال "ما أنا عليه وأصحابي" ولأبي من حديث معاوية و ابن ماجة من حديث عوف وانس بن مالك وهي الجماعة و أسانيدها جياد(62)

يقول الشوكانى فى فتح القدير عند تفسير الآية "وممنّ خلقنا أمة يهدون بالحق و به يعدلون" (الاعراف 181) يعنى: أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير فى تفسيره بعد ذكره لهذا الحديث مالفظه: و حديث افتراق الأمم فى موضع آخر انتهى قلت: أما زيادة كونها فى النار إلّا واحدة، فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم إنها: موضوعة .(63)

وبالجملة نقول بعد بيان الحكم على الحديث، ان الحديث... حسنه جمهور العلماء والمحدثين كالحافظ ابن حجر و صححه بعضهم كشيخ الاسلام ابن بيمية بتعدد طرقه ،والعمل بها عند الجمهور.

هوامش

1 القرطبی،ابوعبدالله محمد بن احمد الانصاری،الجامع لاحکام القرآن،(تفسیر قرطبی،)موسسة مناهل العرفان، بیروت-ص،ب- 1401/2
2 المصدر السابق، 1406/2
3 ابن منظور،ابوالفضل جمال الدین محمد بنمکرم ابن منظور الافریقی، لسان العرب، دار صادر،بیروت-90/9
4 الاصفهانی،الراغب، معجم مفردات الفاظ القرآن،المکتبةالشاملة،ص: 294
5 ابن منظور،لسان العرب،300/10
6 آل عمران:103
7 آل عمران:105
8 الأنفال: 46
9 الأنعام: 159
10 المؤمنون:52
11 القران،الروم:31-32
12 القشیری، مسلم بن حجاج، الجامع الصحیح،دارالسلام للنشر والتوزیع،ریاض- کتاب الأقضیة 1715
13 الشاطبی،ابو اسحاق ابراهیم بن موسی بن محمد الشاطبی الغرناطی، الاعتصام.. مکتبه الریاض الحدیثیة،البطحاء-الریاض 166/2
14 اخوان رسائل الصفاء وخلان الوفا، (دار صادر،بیروت-1957ء) 448/3
15 المصدر السابق 448/3
16 المصدر السابق
17 ابو زهرة، محمد احمد، المذاهب الإسلامیة، مکتبه الآداب و مطبعتها بالجمامیز ص: 6-7،
18 الصنعانی، محمد بن اسماعیل الأمیر، حدیث افتراق الأمة إلی نیّف و سبعین فرقة، ص: 34 تحقیق، سعد بن عبدالله بن سعد السعدان، دارالعاصمة للنشروالتوزیع، سعودی عرب ط: 1415بجری
19 اخوان الصفاء، 444/3
21 ابو داؤد،سلیمان بن اشعث ، السنن،،دارالسلام للنشروالتوزیع،الریاض، رقم الحدییث: 4596
22 ابو داؤد ، السنن ،رقم الحدیث 4596
23 الترمذی،ابوعیسیٰ محمد بن عیسیٰ بن سورة،السنن/الجامع،دارالسلام للنشروالتوزیع،الریاض، رقم الحدیث 2640
24 الحاکم، مستدرک علی الصحیحین، دارالکتب العلمیة بیروت 1990م،47/1
25 احمد بن حسین ابن علی البیهقی السنن الکبریٰ، دارالمعرفة بیروت 1355 ہجری،408/10
26 ابن حجر،شهاب الدین،احمد بن علی بن حجرالعسقلانی المتوفی852، تقریب التهذیب،دارالفکر للطباعةوالنشر والتوزیع، 196/2
27 ابن حجر، شهاب الدین،احمد بن علی بن حجرالعسقلانی المتوفی852، ،تهذیب التهذیب، دارالفکر للطباعةوالنشر والتوزیع، 333-4/9
28 ابن سعد،محمد بن سعد، الطبقات الکبریٰ،دار صادر بیروت، 363/1
29 المزی،جمال الدین ابوالحجاج یوسف المزی، تهذیب الکمال فی اسماءالرجال،دارالفکر للطباعةوالنشروالتوزیع،بیروت216/26
30 الترمذی الجامع رقم الحدیث ص:600

31 الترمذی رقم الحدیث 2641
32 ابو داؤد رقم الحدیث 4597
33 ابن ماجة ،رقم الحدیث 3992
34 الطبری،ابوجعفرمحمد بن جریرالطبری،جامع البیان فی تفسیرالقرآن،دارالمعرفة للطباعة والنشر، بیروت، لبنان- 74/7
35 احمد بن حنبل ،المسند،موسسة الرسالة،بیروت،لبنان ،باب مسند انس بن مالک، 309/24
36 ابن کثیر،عمادالدین ابوالفداء اسماعیل بن عمرابن کثیر، تفسیر القرآن العظیم ، دارالکتب العلمیة بیروت ،149/3
37 ابویعلی الموصلی، المسند دارالکتب العلمیة بیروت 1998م تحقیق، عبدالقادر عطا، 358/4
38 ابن حجر تهذیب التهذیب 6/ 219
39 الخطیب البغدادی،ابو بکر احمد بن علی الخطیب ، تاریخ بغداد،دارالکتاب العربی،بیروت،لبنان- 216/10
40 ابن ابی حاتم،ابو محمد عبدالرحمٰن ابن ابی حاتم الجرح والتعدیل،مجلس دائرة المعارف العثمانیة،بحیدرآباددکن-الهند1953ء، 1111/5
41 المزی ،تهذیب الکمال 215/7
42 الترمذی الجامع :ح،199
43 البخاری ،الجامع:ح،128
44 الصنعانی، محمد بن اسماعیل الأمیر، حدیث افتراق الأمة إلی نیف و سبعین فرقة ص: 97 تحقیق سعد بن عبیدالله بن سعد السعدان- دارالعاصمة للنشر والتوزیع، الریاض 1415ہجری
45 المزی تهذیب الکمال 327/2
46 ابن حجر تهذیب التهذیب205/1
47 ابو حاتم الرازی الجرح والتعدیل312/2
48 ابن حجر التهذیب 239/5
49 ابن سعد الطبقات 456/7
50 ابن حجر تهذیب226/3
51 المزی تهذیب الکمال443/23
52 ابن سعد للطبات 245/7
53 ابو حاتم الرازی الجرح والتعدیل251/9
54 ابو حاتم الرازی الجرح والتعدیل252/9
55 المزی تهذیب الکمال 67/32
56 ابن حبان،او حاتم محمد بن حبان بن احمد التمیمی البستی،المکتبةالشاملة، المجروحین 98/3
57 البخاری،ابوعبدالله محمد بن اسماعیل، تاریخ الکبیر، المکتبةالشاملة، 3166/8
58 البخاری ،رقم الحدیث 6163
59 ابو داؤد السنن 4278و احمد بن حنبل المسند 410/4-418
60 الصنعانی حدیث افتراق الأمة ص: 56
61 ابن تیمیة، تقی الدین ابوالعباس احمد بن تیمیة، مجموع فتاوی ،345/3
62 الحداد،محمود بن محمد ، تخریج احادیث احیاء علوم الدین للعزاق، وابن السبکی والزبیدی، دارالعاصمة للنشر، الریاض 1987م ط: اولی، 1870/4
63 الشوکانی فتح القدیر 59/2